



مفاهيم إسلامية بين النظرية والتطبيق

المحاضرات

محاضرة في الأردن

2023-02-23

عمان

الأردن

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وأصلي وأسلم على نبينا الأمين وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد: فإنني أشكر لإخوتي في البيت الحمصي هذه الدعوة الطيبة المباركة التي إن دلّت على شيء فعلى حسن ظنهم بي، وأسأل الله تعالى أن أكون عند حسن ظنكم بي جميعاً. ثم إنني أعتزم هذا اللقاء لأبدأ بالدعاء بالرحمة لكل من تحتسيهم عند الله تعالى من الشهداء من أهلنا وأحبائنا في الجنوب التركي والشمال السوري، بعد فاجعة الزلزال الذي أودى بحياة الكثيرين الذين تحتسيهم عند الله تعالى من الشهداء، ونُعزّي أهلهم وأحبائهم وأصدقائهم ونسأل الله تعالى أن يجمعنا بهم في مستقر رحمته إخواناً على سررٍ مُتقابلين، وأبدأ بعون الله تعالى في موضوع لقاءنا اليوم كما أسلف الأخ جزاه الله تعالى خير الجزاء، فذكر أنّ عنوان اللقاء مفاهيم إسلامية بين النظرية والتطبيق.

الدين هو عقيدة وشرعة:



الدين عقيدة وشرعة

أيها الإخوة الأحابي بادئ ذي بدء الدين أيُّ دين؟ بل لا أباغ إذا قلت الفكرة أيُّ فكرة؟ هي عبارة عن شيئين اثنين عقيدة وشرعة، الدين عقيدة وشرعة، فالعقيدة هي ما يسمى بالمصطلح الحديث المُطلقا النظرية، والشرعة هي التطبيقات العملية، أي أصحاب فكرة أو مبدأ أو قيمة أو حزب سياسي، اجتماعي، اقتصادي، ديني يجتمعون على شيئين، على عقيدة يعتقدونها، على فكرة يؤمنون بها، ثم على أليو يُطبقون من خلاها هذه الفكرة، والدين عقيدة وشرعة، فالعقيدة لخصها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله الإيمان، مصطلح العقيدة مُصطلح حديث، المُصطلح الشرعي المُصطلح المُداول في القرآن والسنة هو الإيمان، التصديق بالفكرة يعني.

{ الإيمانُ : أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَاليَوْمِ الآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ }

(الألباني صحيح الجامع)

هذه عقيدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَعِذْ لَدَيْكَ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلِّبُكُمْ وَمَتَوَكِّمٌ (19)

(سورة محمد)

عقيدة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ (25)

(سورة الأنبياء)

(لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) عقيدة (فَاعْبُدُونِ) شرعية.

فكلُّ نبيٍّ من الأنبياء سواءً ممن دُكرُوا في كتاب الله أم لم يُدْكَرُوا جاؤوا بعقيدة هي التوحيد، لا إله إلا الله، وشرعية هي العبادة، الآن التفاصيل مختلفة، كيف تُنفذ هذه الشريعة؟ المسألة، لو أنّ مدرّساً دخل إلى الصف وقال: ما من طالبٍ في هذا الصف إلا له عندي جائزة، الصف فيه ثلاثون طالباً، ثماني وعشرون طالباً موجودون واثان غائبان، هذا القول الذي قاله يشتمل الغائبين، يعني لا بدّ أن يكون هناك جائزة للغائبين يستلمانها عند حضورهما، لكن لو قال سأعطي جائزة لكل واحدٍ منكم، فلا تشتمل الغائبين، أما ما من طالبٍ إلا وله جائزة، إذا كل طالب ولو كان غائباً له جائزة، فيقولوا في اللغة (من) لاستغراق أفراد النوع، يعني كل الموجودين بالفرد وليس بالعموم (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) عقيدة، (فَاعْبُدُونِ) شرعية.

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ) أي رسول، وبالمناسبة هذه (من) لاستغراق أفراد النوع، يعني كل الرُّسل، كيف يعني استغراق أفراد النوع؟ نوضح المسألة، لو أنّ مدرّساً دخل إلى الصف وقال: ما من طالبٍ في هذا الصف إلا له عندي جائزة، الصف فيه ثلاثون طالباً، ثماني وعشرون طالباً موجودون واثان غائبان، هذا القول الذي قاله يشتمل الغائبين، يعني لا بدّ أن يكون هناك جائزة للغائبين يستلمانها عند حضورهما، لكن لو قال سأعطي جائزة لكل واحدٍ منكم، فلا تشتمل الغائبين، أما ما من طالبٍ إلا وله جائزة، إذا كل طالب ولو كان غائباً له جائزة، فيقولوا في اللغة (من) لاستغراق أفراد النوع، يعني كل الموجودين بالفرد وليس بالعموم (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا) عقيدة، (فَاعْبُدُونِ) شرعية.

الفجوة بين العقيدة والشرعية:



عقيدتنا هي التوحيد

إذا الدين عبارة عن عقيدة نعتقها ولأنّ أهم ما فيها هو التوحيد، فعقيدتنا هي التوحيد سُميت بأهم ما فيها، والشرعية ولأنّ كل ما ينتظم الشريعة هو عبادة لله، يعني الصدق عبادة، الأمانة عبادة، العمل المُباح عبادة، إلى آخره فسُميت عبادة، الشريعة عبادة والتوحيد عقيدة، فإذا القرآن الكريم والسنة النبوية كثيراً ما يربطوا بين العقيدة والشرعية، يعني لا ينبغي أن يكون هناك فجوة بين ما تؤمنوا به وما تفعلونه، وإلا فهذا يندرج إما تحت النفاق الاعتقادي أو النفاق العملي، يعني النفاق الأكبر أو النفاق الأصغر، الأكبر هو المخرج من الملة يعني النفاق الاعتقادي، يعني يعتقد الكُفر ويُظهر الإيمان أو نفاق عملي مثل قوله صلى الله عليه وسلم:

{ آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا أُؤْتِيَ خَانَ }

(صحیح البخاری)

فإما نفاق اعتقادي، أو عملي إذا كان هناك فجوة، الأصل أن لا يكون هناك فجوة بين ما تعتقده وبين ما تفعله، لذلك عابَّ الله تعالى على بني إسرائيل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ تَثُلُونِ الْكَتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (44)

(سورة البقرة)

وخاطب المؤمنين فقال:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (2) كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ (3)

(سورة الصف)

فالأصل أنَّ العقيدة مُرتبطة بالشرعية، مثال والأمثلة كثيرة جداً كقوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (1)

(سورة الماعون)

هذه عقيدة، بالمعنى السلبي يعني لا يعتقد بالدين يعني هو مُكذِّب بالدين

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَذُلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)

(سورة الماعون)

شرعية، يعني لولا أنَّ العقيدة السيئة تُنتج سلوكاً سيئاً لقلنا للإنسان اعتقد ما شئت، لكن إذا اعتقد عقيدة سيئة تنتج سلوكاً سيئاً لذلك:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْإِيمَانِ (1) قَدْ لِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ (2)

(سورة الماعون)

المقابل يقول صلى الله عليه وسلم:

{ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ. }

(صحيح البخاري)

(مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) عقيدة، (فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ) شرعية، (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) عقيدة (فَلْيُكْرِمْ صَيْفَهُ) شرعية، (مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) عقيدة، (فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ) شرعية.

العقيدة الصحيحة والعقيدة السيئة:



الشفاعة حق

إذا هناك ارتباط بين العقيدة من جهة والشريعة من جهة، لذلك نقول ينبغي أن تعتقد الاعتقاد الصحيح حتى يكون السلوك صحيحاً، مثال: لو أن إنساناً اعتقد بعقيدة الجبر، أي أن الله تعالى أجبر عباده على الطاعة اعتقد ذلك، يا أخي نحن مُسَبِّرون وإذا كان مكتوب علي أن أعصي ربي فسأعصي ربي وأنتهى الأمر، ما السلوك الذي سينتج عن ذلك؟ معصية، سيُبرر معاصيه كلها بأنها من قضاء الله وقدره، زوراً وبهتاناً عقيدة خاطئة، من اعتقد أن النبي صلى الله عليه وسلم سيشفع لأمته كلها، يعني كل إنسان مجرد أنه مُسَجَّل على هويته أنه مسلم ولو لم يصلي لله تعالى ركعة، فهو في الجنة فقط لأنه مُنتسب للإسلام، ولو اغتصب أموال الناس، ولو أكل أموالهم بالباطل، ولو فعل ما فعل الشفاعة، اعتقد هذه العقيدة، الشفاعة حق بالمناسبة لا تُنكرها نساءل الله أن يُشفع نبيّه فينا، لكن المفهوم الخاطئ للشفاعة المُتغاضي عن أن الناس سيحاسبون:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِيَّ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْر بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا تَصِيرًا (123)

(سورة النساء)

هذا المفهوم الخاطئ للشفاعة سيدفعه إلى أن يستحل العيبة والتبعية والى آخره، لأنه اعتقد عقيدة خاطئة، دائماً العقيدة الصحيحة غالباً ما تُنتج سلوكاً صحيحاً، إذا كان الإنسان مُفتنع بها من أعماقه، فالسلوك غالباً سينتج صحيحاً، والعقيدة الفاسدة ستنتج سلوكاً فاسداً، لذلك ليس هناك في واقع الأمر من فجوة بين العقيدة والشريعة، في الأصل العقيدة تؤدي إلى الشريعة، سنأتي على الاستثناءات لكن الآن أتحدث بالعموم، الآن لو نظرنا في واقع الناس، هل هناك من فجوة بين العقيدة والشريعة؟ الجواب نعم وفجوة كبيرة للأسف، يعني تجد إنساناً يعتقد بشيء ما لكنه لا يفعل الأفعال التي تُنتج ذلك الاعتقاد، عقيدته في واد وأفعاله في وإد آخر، فهذه الفجوة موجودة لا تنكر ذلك، ما سببها الرئيس؟ سببها عدم تمكن الإيمان في النفوس، يعني معني آخر اليوم مُدْخَن، إنسان يُدْخَن سألته هل تعرف أضرار التدخين؟ قال: نعم، قرأت عنها؟ قرأت عنها، حضرت محاضرة عن الأقات العظيمة للتدخين وعن تأثيراته على الجسم والنفوس والناس من حولك؟ نعم صحيح، لماذا إذ أنت ما زلت تُدْخَن؟ بالطرف الآخر شخص زاد وزنه، وأصبحت مشيته ثقيلة بسبب الوزن الزائد، ونصحه الأطباء بأن يتبع أسلوب غذائي جديد وأن يمشي كل يوم نصف ساعة، هل أنت مُعتقد بأهمية ذلك؟ الجواب نعم، حسناً أنت تقوم بما طلب منك من التزام حمية غذائية والمسير يوماً لنصف ساعة؟ لا! إذا هناك فجوة بين ما تعتقده وبين ما تفعله سببه أو التشخيص له ضعف الإرادة، يقول لك أنا أريد، أنا مُفتنع، لكن أنا لا أقوى على ذلك، أنا أعلم يقيناً أن الدين لا خير في دين لا صلاة فيه، مُعتقد في ذلك لكن أنا مُشغول بالدنيا ولا أصلي، فهذا ضعف إيمان يُسميه العلماء، ما معنى ضعف إيمان؟ يعني لو أنه وصل إلى المستوى الإيماني العالي بعقيدته لنقد الأمر، بمعنى آخر أو بمثال موضح، ذاك الرجل الذي حدثتكم عنه الذي يعلم أن التدخين مُضر بصحته وعائلته ومُدْخَن، في لحظة معينة يذهب إلى الطبيب يضع الطبيب يده على قلبه يقول الطبيب: المشكلة أصبحت صعبة، الشرايين سُدَّت، يعني أنت في المرحلة الخطرة جداً، في مكان مُعين يصل إلى عقيدة منة بالمنة بضرر التدخين عليه فيتركه وهذا حاصل، قبل أيام كان يقول لك أنا مستحيل أن أترك التدخين، لأنّ قوة تعلقه بالتدخين أقوى من عقيدته بضرر التدخين، لا أقول أنه غير مُعتقد بضرر التدخين، لكن التعلق بالتدخين أكبر من العقيدة التي يعتقد بها، والشريعة عرضاً لمرض، إخواننا الأطباء يعلمون أن هناك أمراض وهناك أعراض، يعني لو أنّ شخصاً ذهب إلى الطبيب وقال له: إنّ رأسي يؤلمني فقال له خذ حبتي بانادول في اليوم هذا ليس طبيياً، لأنّه يُعالج العرض، لكن الطبيب سينظر ما أصل المرض، لماذا رأسك يؤلمك؟ وجع الرأس هو عرضٌ لمرض، ربما يوجد مشكلة في المعدة، ربما يوجد مشكلة بالدماغ، ربما يوجد مشكلة في الأعصاب، شقيقة، يوجد سبب، ربما السبب وراثي، لكن يبحث عن أصل المرض ولا يُعالج الأعراض فقط، لأنّ الأعراض تزول ربما لكن تعود، لأن المرض مازال موجوداً في الداخل، فالمشكلة في العقيدة هي مشكلة أمراض، المشكلة في السلوك هي مشكلة أعراض، والفوق هو من يُعالج المرض قبل أن يُعالج العرض.

الفجوة الأولى في الشريعة هي الفجوة بين النظرية والتطبيق:



التوكل أن تأخذ بالأسباب وأن تتوكل على الله

الآن لو دخلنا في صلب الموضوع دخلنا في الشريعة، نجد داخل الشريعة فجوة بين النظرية والتطبيق، هذا موضوع لقائنا داخل الشريعة فجوة بين النظرية والتطبيق، يعني الغيبة حرام هذه شريعة وليست عقيدة، لماذا يغتاب الناس بعضهم بعضاً رغم معرفتهم أن الغيبة حرام؟! إذاً يوجد مشكلة وفجوة داخل الشريعة، ليس بين العقيدة والشريعة لكن داخل الشريعة يوجد مشكلة، هذه المشكلة تتفرع إلى فرعين اثنين، الفرع الأول: هو المشكلة بين أصل الفكرة وفهم الفكرة، قبل أن نقول بين النظرية والتطبيق، بين الأصل وبين الفهم، بمعنى اليوم إذا قلت للناس عموماً مصطلح إسلامي التوكل، انتهي اليوم بعشرة من عوام المسلمين، يعني أقصد بالعوام هنا غير المتخصصين بالعلوم الشرعية، لم يحضروا دروساً، ما عندهم لقاءات طبية كذلك اللقاءات يتعارفوا و يتدارسوا العلم بينهم، من عوام الناس، قل لهم: ما معنى التوكل؟ أصل الفكرة، الإسلام دعا إلى التوكل على الله تعلمون ذلك؟ قالوا: طبعاً نعم نحن متوكلون على الله، تقول له: ما معنى التوكل على الله؟ يقول لك أنا أتوكل على الله عز وجل، أفوض الأمر إليه، لو مرض ابنك ما معنى التوكل على الله، يقول لك: الله يشفيه هذا التوكل على الله، لو أنك تريد مالا كيف تتوكل على الله؟ يقول لك ادعوا ربي أقول يا رب أعطني مال، أنا متوكل عليه، أريد المال من عندك، فأصل الفكرة شيء وفهم الناس لها شيء آخر، الواقع ليس التوكل أن تطلب من الله أن يعطيك، التوكل هو شيئين أن تأخذ بالأسباب وأن تتوكل على رب الأرباب، من ومن المسلمين يعرف هذه الحقيقة؟ أنا أتكلم في العموم لا أتكلم الآن عن الإخوة الذين درسوا و تابعوا العلوم الشرعية، أو حتى الذين يتابعون اللقاءات الدورية الذين تحقّقوا أنفسهم، أتكلم عن عموم الناس، فتجد المشكلة في فهم الفكرة بين فهم الفكرة وأصلها الفجوة، التوكل لا يعني أبداً ترك الأخذ بالأسباب كل النصوص الشرعية تؤكد أن التوكل يعني الأخذ بالأسباب ثم التوكل على الله تعالى، لكن الناس يفهمون التوكل أنه ترك الأمر لله، فيمرض لا يذهب إلى الطبيب يقول الله يشفيني! هذا غير صحيح، يركب سيارته عنده سفر أربع مائة كيلو متر ولا يتفقد الزيت ولا يتفقد الماء في السيارة، ويقول توكّلنا على الله يا رب، كيف توكّلت على الله؟! الله لا يقبل منك هذا التوكل، لأن هذا اسمه سداجة، التوكل يعني أن تتفقد الماء والزيت وتجري الصيانة للمركبة وتتأكد من جاهزيتها، ثم تقول سلّمت أمرى لله أنا غير مُعتمد على هذه الأسباب، لكنني أخذت بها تعدياً، والآن جاء دور الاعتماد على الله تعالى وحده، هذه هو مفهوم التوكل بالعموم، لن أكثر من الأمثلة لأنها كثيرة جداً، بالطرف المقابل لو جئت للناس اليوم جمعت أيضاً عشرة من المسلمين من عوام الناس غير المتخصصين، وجئت برجل يركب سيارة فارغة جداً، يعني من أحدث طراز، ويلبس ثياب أنيقة جداً، وحذائه نعله حسن، وثيابه حسنة ومُشَدَّب لحيته، وربما إذا كبير بالسّن صبغ شعره، وأحسن الثياب ويركب بسيارته الفارهة ويمشي بها، وقلت للناس هذا الرجل برأيكم مُتَكَبِّر أم غير مُتَكَبِّر؟ كثير من الناس يقولوا مُتَكَبِّر خاصة الذين لا يعرفونه، أول مرة يرونه، ما أدراك أنه مُتَكَبِّر؟ يقول لك: ما رأيته يجلس في السيارة الفارهة، وثيابه حسنة، ويلبس حذاء لامع، ما رأيته؟! مع أنه هذا الرجل ربما يكون غير مُتَكَبِّر أبداً، فالجواب الصحيح أن تقول لا تعلم ربما يكون مُتَكَبِّر وربما يكون غير مُتَكَبِّر هذا الذي نراه ليس له علاقة بالكبر أبداً، النبي صلى الله عليه وسلم كيف صحح هذه المفاهيم لمّا قالوا له: يا رسول الله إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً فقال صلى الله عليه وسلم: ليس ذاك، هذا ليس كبيراً، إن الله جميل يحب الجمال.

{ لا يدخلُ النَّارَ مَنْ كان في قلبه مثقالُ دَرَّةٍ من إيمانٍ ولا يدخلُ الجَنَّةَ مَنْ كان في قلبه مثقالُ دَرَّةٍ من كِبَرٍ، فقال الرَّجُلُ: يا رسولَ اللهِ إنَّ

الرَّجُلَ لَيَجِبُ أَنْ يكونَ ثوبُهُ حسَنًا ونعلُهُ حسَنًا فقال: إنَّ اللهَ جميلٌ يُحِبُّ الجمالَ، الكِبَرُ من بطرِ الحقِّ وغمصِ النَّاسِ {

(أخرجه مسلم وابن حبان)



الكبر غمص الناس

ارتدي ثياب نظيفة، ربما إذا كان مُقتدر ارتدي ثياب جميلة، ونعل حسنة وليس ذاك هو الكبير، قال: (الكِبَرُ من بطرِ الحقِّ وغمصِ النَّاسِ) الكبير أن أقول لك قال الله وقال رسول الله وترفض، أقول لك الحق في المسألة هو كذا وترفض كبيراً، الكبر غمص الناس، أن تقول لإنسان ألا تعلم فلان يقول لك: الناس كلهم لا يفهمون هذا غمص الناس، ألا تعلم أن فلاناً له فضل له كذا أنا ما عندي أحد يفهم، هذا مُتَكَبِّر لأنه يرفض الحق وينزل الناس عن منازلهم ويطن نفسه وحده من يفهم، وإي الأخرين لا يفهمون شيئاً، هذا هو الكبير، لكن واقع الناس أنهم يفهموا الكبير بشكل مختلف عن الموجود، ليس طبعاً كل الناس ولكن كثير من الناس يفهمون الكبير أنه شيء له علاقة بالمظهر، وليس شيئاً متعلقاً بالسلوك وفي التعامل مع الحق ومع الناس، فهذه الفجوة بين أصل الفكرة التي جاء بها الإسلام نقيّة صافية وبين فهم الناس لها، القسم الثاني قلت في البداية عندما تكلمت عن الشريعة أن هناك قسمين لمشكلة الفجوة في الشريعة، الفجوة الثانية أو القسم الثاني في الشريعة هو الفجوة بين فهم الفكرة، ثم تطبيق الفكرة في الواقع، هذه فجوة أخرى، الفجوة الأولى أصل الفكرة وفهم الفكرة ضربنا مثلاً التوكل الناس يفهمونه على أنه مجرد اعتماد على الله تعالى خالياً عن الأسباب، وحقيقته أن تأخذ بالأسباب وكأنها كل شيء ثم تتوكل على الله وكأنها ليست بشيء، والكبر حقيقته بطر الحق وغمص الناس، والناس يفهمونه أنه مظهر يظهر به الإنسان فيظنونه مُتَكَبِّرًا من خلاله، هذه مشكلة بين أصل الفكرة وفهم الفكرة هذه فجوة.

الفجوة الثانية في الشريعة هي الفجوة بين فهم الفكرة وتطبيقها:

الفجوة الثانية وهي الأكثر وجوداً في عالمنا الإسلامي، هي الفجوة بين فهم الفكرة وتطبيق الفكرة، بين النظرية والتطبيق الذي هو عنوان لقائنا، بين النظرية والتطبيق، وهذه أمثلتها كثيرة أكثر من أن تُحصى، يعني اليوم لو قلت اليوم في الأرض ملياري مسلم ربما أو قريب من ذلك، لو قلت لهم الكذب ما حكمه في الإسلام؟ لا أظن أن مسلماً يجهل أن الكذب حرام، واضح جداً فهو يعرف الكذب حرام حكم شرعي، فإذا جئت إلى الواقع تجد أن كثيراً من المسلمين يكذبون، وهم يعرفون أن الكذب حرام، الغيبة حرام لكن بعض الناس يغتابون، التميمية حرام لكن بعض الناس يتشؤون، الخمر حرام لكن هناك من يشرب الخمر وهو مسلم وربما يصلي أحياناً، لكن يشرب الخمر وخاصة في البلاد التي فيها جهل بالأحكام وتطبيق الأحكام، الأمثلة كثيرة أكثر من أن تُحصى عن الفجوة بين النظري والتطبيقي في شريعة الله تعالى.

الآن سأحدث عن قصتين في كتاب الله تعالى من خلالهما سأصل إلى السبب الرئيس إن صحَّ التعبير وأرجو أن أوفق إلى ذلك، في مشكلة المسلمين بين معرفتهم بالحكم ومخالفتهم له، حرام حرام يفعلونه، واجب واجب لا يفعلونه! كيف يستقيم معك أنك تعلم أنه يجب عليك أن تحسن إلى زوجتك ثم تُسيء إليها؟ كيف يستقيم معك أن الكذب حرام ثم تكذب؟!

في قصة بني إسرائيل فجوة بين النظرية والتطبيق:

القصة الأولى قصة بقرة بني إسرائيل، وتعلمون جميعاً القصة، القصة باختصار أنه قُتل رجل في بني إسرائيل، جاء بعض الناس إلى سيدنا موسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، قالوا: قُتل فلان نريد أن نعرف من القاتل؟ أنت نبيُّ الله وكليم الله و يوحى إليك من الذي قتله؟ المفاجأة أن موسى عليه السلام بدلاً من أن يقول لهم القاتل فلان، أو لا أعلم من القاتل أو ربما لم أعلمني من القاتل كانت المفاجأة أنه قال لهم:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَأُذِ قَالِ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَجِدْنَا هُرُوجًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ (67)

(سورة البقرة)



معرفة الأمر تؤدي إلى تنفيذ الأمر

حسباً ما علاقة البقرة نقول لك قُتل فلان تقول لنا اذبحوا بقرة؟! ماذا نفعل بالبقرة (قَالُوا أَتَجِدْنَا هُرُوجًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)، أنا أنقل ما قاله الله تعالى لي، قال لي اذبحوا بقرة، الآن طريقة الخطاب، أسلوب الخطاب إن صحَّ التعبير، (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ)، يعني إذا كنتم تعرفوا من الذي يأمر فيجب أن تُسارعوا إلى تنفيذ أمره، (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ) يعني والله المثل الأعلى، والمثل للتوضيح فقط، لو قلت لشخص إنَّ أخاك يأمرُك، ربما يُنقذ وربما لا يُنقذ، لو قلت له إنَّ أباك يأمرُك أن تفعل كذا، يقول لك: أبي؟ نقول: نعم، أبداً لو كنت أنا فرصاً غير مُفتنع بهذا الأمر، لكن أبي أمر صاحب الفصل الكبير عليّ سأنفذ، فهو لَمَّا عرف من الأمر بادر إلى تنفيذ الأمر فوراً، عرف الأمر فاندفع إلى تنفيذ أمره بإخلاص، لذلك لقا يصدر مثلاً مرسوم ملكي إنَّ الملك يأمر بكذا، الناس تعرف من الملك وتعرف معبته مُخالفة أمر الملك فتبادر إلى التنفيذ، لكن لو موظف في شركة من الدرجة الخامسة كتب أنا فلان أمر بكذا، لا يُنقذ الناس، فجاء الخطاب بأسلوب إن الله يأمركم مثله قوله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْقَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ (90)

(سورة النحل)

ما الذي فعله بنو إسرائيل؟ كان المفترض ألا يكون هناك فجوة بين الأمر والتطبيق، يذبحوا بقرة فوراً، أي بقرة يذبحوا بقرة فوراً تنتظر التعليمات بعدها، ماذا نفعل؟ لا نسأل لماذا، لأنَّ الأمر هو الله، وليس من شأن المخلوق أن يسأل الخالق، يفهم الحكمة وحده فيما بعد لكن أن يناقش الأمر ممنوع، يعني نحن في حياتنا اليومية الطيب لا يناقشه فيما يأمر، لأننا نعلم إن له علماً يفوق علمنا في مسائل الطب فنستجيب له فوراً، ولو ناقشناه ربما اعتبر ذلك إساءةً له، فكان المفترض أن يبادروا فوراً إلى ذبح البقرة، لكنهم لم يفعلوا، ما هي؟ ما لونها؟ ما هي؟ ثلاثة أسئلة، ثم قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَعْرَةٌ لَا دَلُولٌ يُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا بَشِيَّةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبْحُوهَا وَمَا كَاذُوا تَفْعَلُونَ
(71)

(سورة البقرة)

يعني حتى وهم يُفْعَلُونَ الأمر ربما نَفَّذوه في النتيجة خجلاً من موسى عليه السلام، أو خروجاً من المسألة أنهم يريدوا أن يعرفوا من القاتل، فقالوا نذبح هذه البقرة ثم ننظر ماذا يحدث، تبين أن أمر الله له حكمة جليلة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُؤْتَى وَيُزَكِّمُ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (73)

(سورة البقرة)

أراد الله أن يُبين لهم كيف ربنا عز وجل أحيا هذا الميت ونطق قال فلان قتلني، أعظم دليل في التاريخ أن المقتول الذي وقع عليه فعل القتل هو الشاهد، لا تحتاج بشهود المقتول قام وقال: فلان قتلني، انتهت مشكلة، أقوى قضية في التاريخ أن ينهض المقتول من قبره ويحدد قاتله، هم لم يفهموا حكمة الله في ذلك فناقشوا لأنَّ عندهم ضعفاً في معرفة الأمر، لذلك كانوا يقولوا "لا تنظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت"

العلم بالله هو الذي يُلغي الفجوة:

القصة الثانية في كتاب الله تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ (102)

(سورة الصافات)

هنا ما قال إن الله يأمرني أن أذبحك، خفف الأمر عليه لأنَّ رؤيا الأنبياء حقٌ وهي أمر من الله، لكن ما قال له إن الله يأمرني أن أذبحك، وجدها قد تكون ثقيلة عليه، فقال (إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ) وأرى فعل مضارع يُفيد التكرار، يعني الرؤيا مُتكررة دائماً أرى (أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَى)، خَيْرُهُ هو خَيْرُهُ يعني كان رجيماً به ابنه، (فَانظُرْ مَاذَا تَرَى)، أعطني رأيك أنا هكذا أرى، فهم الرسالة إسماعيل عليه السلام (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)، هناك ذبح بقرة (قَالُوا أَتَجِدْنَا هُرُوءًا)، هنا اذبح ابنك (قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّى لِلْحَيِّينَ (103)

(سورة الصافات)

وضعه ووضع السكين على رقبته، انتهى نفذ الأمر، يذبح ابنه النبي! ثم جاءت حكمة الله من هذا الأمر، وتبين أن الإنسان بقدر معرفته بخالفه، يُبادر إلى تنفيذ أمر الله تعالى.



معظم المشكلة هي ضعف في معرفة الله تعالى
فإذا هاتان اليقضان لأؤكد حقيقة أعتقد بها وأسأل الله أن أكون مُصيباً فيما أقول، أن معظم المشكلة التي تتعلق بالفجوة بين ما يعلمه الناس وبين ما يُنقذونه على أرض الواقع، أو حتى بين ما يعتقدونه وبين ما يُنقذونه، معظم المشكلة ضعف في معرفة الله تعالى في معرفة الأمر، يعني هم عندهم مشكلة في أنهم لا يعرفوا حق المعرفة من الذي يأمر، هو يعلم أن الكذب حرام لكنه ما رُبِّي على أن الذي حرم الكذب هو الله صاحب الأسماء الحُسنى، والصفات الفُضلى، ما رُبِّي على هذا العلم العظيم الذي هو العلم بالله تعالى، لذلك لما ذكر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَمَّنْ هُوَ قَابِئُ آتَاءِ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْأَجْرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ (9)

(سورة الزمر)

فهؤلاء العلماء الذين يخشون الله وربما هذا فيه تكرار لما تحدّثنا به في لقائنا السابق في موضوع العلم، العلم بالله تعالى هو الذي يُلغي تلك الفجوة بين ما يعرفه الناس وما يُنقذونه من تلك المعارف التي يعرفونها.

أُها الإحوة الكرام، آخر شيء في هذا اللقاء الطيب، يعني بعض الأسباب الأخرى أنا ذكرت السبب الشرعي المُباشر الذي أعتقد أنه هو أساس المشكلة، وهو النقص في ضعف الإيمان أو النقص في معرفة الله تعالى، لكن بالعموم هناك أسباب أخرى طبعاً، يعني لا ينحصر سبب مشكلتنا في أمر واحد لكن هذا هو السبب الرئيس وتتفرع عنه أسباب أخرى.

أسباب أخرى لوجود الفجوة بين النظرية والتطبيق في الشريعة:

هناك ثلاثة أمور سأذكرها الآن مُتعلّقة بهذه المشكلة، أولاً قول مُتعلّقة بمشكلة الفجوة بين النظرية والتطبيق عموماً، ما كلها تنطبق على الدين لكن للفائدة سأحدث بالثلاثة معاً، وأبين ما ينطبق منها على ديننا.

أولاً المثالية الحاملة:



الدين ما يجب أن يكون وفق الواقع
أول ما يذكره المُتطوِّرون إن صحَّ التعبير في قضية أسباب الفجوة بين النظرية والتطبيق هو مثالية الفكرة المُبالغ بها، يعني المثالية الحاملة، بمعنى آخر عدم واقعية الفكرة، يعني مثلاً الليبرالية فكرة حاملة جداً بالديمقراطية والحرية والمساواة مدينة فاضلة يعني، فكرة حاملة جداً، وضعها فلاسفة والفلسفة كما تعلمون هي ما ينبغي أن يكون، النتائج الشعوري والبشري والمعرفي للبشرية لا يزيد عن علم وفلسفة وفن، فالعلم هو وصف ما هو كائن، والفلسفة هي وصف ما ينبغي أن يكون، والفن هو ما يُمتع الإنسان، المُمتع فن، وما ينبغي أن يكون فلسفة، وما هو كائن علم، في ما ينبغي أن يكون، الفلاسفة أحياناً يشطحون، أي يضعون أشياء في الأصل غير قابلة للتطبيق، فعندها سيقع هناك فجوة لأن المكتوب لا يمكن أن يُطبق، أو يصعب أن يُطبقه الناس، مثالية حاملة غير موجودة، طبعاً هل هذا له علاقة بالدين؟ من حيث المبدأ لا، لأن الدين ليس فلسفة، الدين ما يجب أن يكون وفق الواقع، يعني ما يستطيعه الإنسان.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ
عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (286)

(سورة البقرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِّنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُفِيقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا (7)

(سورة الطلاق)

يعني الإسلام يقول لك لن أكلّفك إلا ما هو في وسعك، ولن أكلّفك إلا شيئاً أعطيتك مؤهلاته، فإذا أنت قادر على التطبيق لا يوجد مثالية حالمة في الإسلام، الإسلام أهم شيء فيه أن لا يوجد مثالية حالمة، أنه يعترف بأن الإنسان يُذنب.

{ كلُّ بني آدم خطاءٌ وخيرُ الخطائين التوابون }

(أخرجه الترمذي وأحمد وابن ماجه)

لا يوجد مثالية حالمة في الإسلام، نحن لسنا بشر لا نُخطئ أبداً، لم يقل لنا الله تعالى كونوا معصومين، بالعكس قال:

{ وَالَّذِي تَفْصِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُدْبِنُوا لَدَهَبَ اللَّهُ بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُدْبِنُونَ، فَيَسْتَعْفِرُونَ اللَّهَ، فَيَعْفُو لَهُمْ. }

(صحيح مسلم)

طبعاً ليس هذا معناه أن تُكثر من الذنوب، حاشى أن نفهم ذلك، لكن معناه أننا نُجلبنا على أننا نُخطئ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَىٰ آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً (115)

(سورة طه)



الإسلام يعترف ببشرية نبيك

فالأصل أنّ الإسلام يعترف ببشرية نبيك أو الإسلام يقول لك أنت بشر، يقول لك أنت تُخطئ، فليس في الإسلام مثالية حاملة، لكن هو يضع لك ما ينبغي أن تفعله وكله ضمن وسعك، ولا يُكلفك إلا ما أتاك، فإذا ليس عندنا في الإسلام مثالية حاملة، لكن عندنا في فهمنا للدين أحياناً مثاليات، في فهمنا للدين، ليس في الدين مثالية، لكن بعض العلماء، أو بعض الوُحَاظ، أو بعض الدُعاة من حيث لا يشعرون يضعون للناس مثالية حاملة، والآن سأتكلم كلاماً قد يُنكره عليّ البعض، لكن أنا فكرتي أنا مقتنع فيها تماماً، يعني يضعون مثالية حاملة لأشياء لا يمكن للناس أن تُطبقها، يقول لك الإمام الفلاني صلى الفجر بوضوء العشاء أربعين سنة، يعني هذا الرجل أربعين سنة لم يكن ينام، لو فرضاً حصل ذلك، يعني لو افترضنا أنه حصل وأنا أشك أنه حصل، لأنه لا يستطيع إنسان أربعين سنة أو عشرين سنة أو عشر سنوات أن لا ينام في الليل، لكن لو أنه حصل فهو حالة فردية لم يُكلفنا بها الإسلام، بالعكس تماماً النبي عليه الصلاة والسلام قال:

{ جَاءَ ثَلَاثَةٌ رَهْطًا إِلَى بُيُوتِ أَرْوَاحِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَانَهُمْ تَقَالُوْهَا، فَقَالُوا: وَإَيْنَ تَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! قَدْ عُفِّرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلَا أَفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلَا أَتَرَوُّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ، فَقَالَ: أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذًا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْسَبُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْفَاكُمْ لَهُ، لِكَيْتِي أَصُومُ وَأَفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْفُدُ، وَأَتَرَوُّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنِّي فَلَيْسَ مِنِّي }

(صحيح البخاري)

كنت أقرأ لسيدنا عمر قولاً أعجب منه يقول: "إني إن نمت ليلي أضعت نفسي أمام ربي، وإن نمت نهاري أضعت رعيتي" كنت أستغرب من هذا القول حتى وقعت على القول الذي أعتقد أنه الصواب في الكتب، قال " إني إن نمت ليلي كله أضعت نفسي أمام ربي" هذا واقعي، لكن إن نمت ليلي معناه أنا لا أنام الليل، أنا لا أستطيع أن لا أنام الليل، فأنت عندما تضعني أمام مثالية حاملة، هذا سيجعل هناك فجوة غير مصطنعة لكن حقيقية طبيعية لا بُدَّ منها، فالإسلام ليس فيه مثالية حاملة، فيه أشخاص يُدبونها ويتبوا، النبي صلى الله عليه وسلم يقول:

{ المؤمن كالسنبلَةِ تقومُ أحياناً وتميلُ أحياناً }

(أخرجه البخاري والبخاري وأبو يعلى)

يريد الله صوتك، يريد منك أنك بشر، يريد منك أنك تُخطئ وتتوب، لكن يريد منك أن تعتزل الكيئات طبعاً، يريد منك أن لا تستمر بالمعاصي في الوقت نفسه، يعني نحن لا نَهْوَن المعاصي معاذ الله، لكن نحن مجبولون على ذلك، لكن لما يضع بعض الدُعاة مثالية حاملة غير موجودة لم يأمر بها الإسلام، ويجعلون منها ديناً وبأمرونا بأن تكون في مصاف الأنبياء والمعصومين، فهذه مشكلة ليست في أصل الدين حاشا لله تعالى، ولكنها في فهم البعض للدين، وهذا يُنتج فجوة طبيعية بين النظرية والتطبيق. السبب الثاني من الأسباب الفرعية لأنه انفتقنا أنّ السبب الأساسي هو ضعف الإيمان ونقص المعرفة بالله، هو ضعف النُخبة القائمة على تنفيذ الفكرة، دائماً الأفكار العظيمة ينبغي أن يحملها رجال يتمثلونها في أخلاقهم، لما يضعف أصحاب القضية عن حمل قضيتهم، تنتج فجوة بين النظرية والتطبيق، فإنا عندما أنظر إلى أمين الحزب الفلاني مثلاً، الذي يُنادي بأهمية واحد اثنان ثلاثة، ثم أجده هو غير قادر على حمل الفكرة هو في وإدٍ آخر بعيد، فقط هو اسمه الأمين العام للحزب الفلاني، ما هذه الفكرة إذاً إذا كان من يحملونها غير قادرين على تنفيذها؟! تضعف الفكرة ويضعف التطبيق، الناس اليوم لماذا كفروا بالكلمة؟ الكلمة جاء بها الأنبياء

ثانياً بعد الناس عن الكلمة وعن تطبيق الفكرة التي يحملونها:



الناس يتعلقون بالإنسان

أهم أسباب بعد الناس عن الكلمة أنهم وجدوا الكلام في واد والمتكلم في واد، يعني ضعفت المصادقية، لم يجدوا سلوك القائل مُتناسقاً مع كلامه، فعندما لا يحمل الفكرة أشخاص قادرين على حمل الأمانة تضعف نظرة الناس إلى الفكرة في الأصل، ويقولون نحن من باب أولى أن لا ننفذ فكرةً من وضعوها غير قادرين على تطبيقها، طبعاً نحن لم نضع فكرة في الدين بل نتحدث بشكل عام عن الأحزاب، لكن لو طبقنا ذلك على دين الله تعالى، الدين وحى من الله تعالى، نحن مسلمون بقدر قريننا من تنفيذ دين الله، وإيماننا به، وحرصنا على تطبيق أحكامه، نُحب الناس به، وبقدر ثقلت بعض الناس من الدين يتفرون الناس منه، طبعاً هذا سلوك الناس خطأ، لكن هو واقع يعني لا عُذر لهم، ليس صواباً، لذلك دائماً نقول للناس لا تنظروا إلى الإسلام من خلال المسلمين، لكن انظروا إلى الإسلام خلال النصوص الشرعية، لكن الناس هذه طبيعتهم يتعلقون بالإنسان، يقول لك فلان جاري مسلم يُصلي في المسجد، دائماً لما تجلس معه يحدثنا في الدين، لكن فعل كذا وكذا، وجدته يفعل كذا في مكان كذا، يجد لنفسه مُبرراً وهو عذر غير مقبول لكن هو يفعل ذلك ولذلك قال تعالى:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ رَّبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (5)

(سورة الممتحنة)

كيف يكون المسلم فتنَةً للكافرين؟ عندما يجدوا فجوةً بين إسلامه وتطبيقه لإسلامه، يعني بين ما يعتقدونه وما يفعله، فيفتنون نقول إذاً نحن على حق، ما دام المسلمون الذين يدعوا أنهم أصحاب أخلاق وكذا، لكن يغشوا في المعاملة، يكذبوا، يتحالوا، إذا أنا غير مُلزم بهذا الدين الذي أنتج هذه الأفعال! قولهم خطأ لأنه لا أحد يُنكر الطب وعلم الطب لأن طبيياً أساء إليه، لكن هذا واقع الناس، فنحن مصطرون أن نعالج المشكلة حتى لا نجعل للناس مدخلاً من خلالها، يقولوا إننا نحمل أهم فكرة، القول المشهور نحمل أهم فكرة مع أضعف تسويق، هذا يؤدي إلى هذه الفجوة، يعني نحن لا نسوق لدينا بالشكل الصحيح إن صح التعبير، التسويق مُصطلح أن توصل الفكرة إلى الناس، فأنت تحمل فكرة عظيمة لكن أحياناً كثيرون يسيئون إيصال الفكرة إلى الناس، فيترك الناس التطبيق فتقع هذه الفجوة.

ثالثاً: تبني الفكرة بعض المُنتفعين وأصحاب المصالح:

الأمر الأخير من الأسباب أنه أحياناً تبني الفكرة بعض المُنتفعين منها وأصحاب المصالح، وهذا أصعب ما يكون في دين الله تعالى، لو أنه في حزب سين من الأحزاب، وتبني الفكرة فلان أو فلان من الناس، وهم أصحاب مصالح يعني يريدوا أن يجمعوا مالأً أو يحصلوا منصباً في مجلس الأمة أو يريدونها من أجل أن ييسروا أمور تجارتهم وأخذوا تسهيلات لا يأخذوها إلا وهم في هذا الموقع، فهذا شيء سيء ومزعج، لكن ليس مُعيباً في دين الله، الناس يُشير إليهم على أنهم سياسيون والسياسة فيها عريضة، وليس لنا علاقة بالسياسة إلى آخر هذا الكلام، بعض النظر، فالناس عموماً إذا أساء السياسيون الاقتصاديون، انتفع الناس بأحزابهم وإلى آخره ينزعجون منهم، لكن الأمر بعيد عن الدين، لكن أسوأ شيء أن يُتاجر بالدين، لذلك يُنسب للإمام الشافعي رحمه الله أنه كان يقول: "لأن ارتزق بالرخص أهون عليّ من أن ارتزق بالدين" لأن الرقص الناس يقولوا هذا يرقص ويُعطيه الناس المال وانتهى الأمر، أما الدين فهو يلعب بالمقدسات، فالإتجار بالدين وجعل الدين تجارةً من أجل تحصيل المكاسب والمصالح، وعندما يحمل الفكرة المُنتفعون، يكونوا بذلك يُسيئون إلى فكرتهم، ويجعلوا بين الواقع والتطبيق عند الناس، بين النظرية والتطبيق، وبين الفكرة وإسقاطها على أرض الواقع فجوة كبيرة فتكون هذه المشكلة التي نتحدث عنها في هذا اللقاء الطيب بصحبكم الكريمة.

الخاتمة:

إذاً أحياناً الكرام ألخص الموضوع في دقائق، واعدروني لأنّ الموضوع مُتَشعب، فلنا الدين عقيدة وشرعية، العقيدة مُرتبطة بالشرعية ارتباط عضوي، كل عقيدة سليمة ينبغي أن تنتج سلوكاً سليماً في الأصل، وكذلك العقيدة الفاسدة غالباً ما تنتج سلوكاً فاسداً، العقيدة والنشرية مرتبطتان ارتباطاً وثيقاً، هناك فجوة بين ما يعتقد الإنسان وما يفعله، وهذا إما أن يكون نفاقاً اعتقادياً أو بعضهم نفاقاً سلوكياً عملياً، وعلى كل حال بالإسلام يُحارب النفاق ويجعل المُتناقضين في الدرك الأسفل من النار لأن ما نعتقد به يجب أن يظهر في أفعالنا، في الوقت نفسه لو دخلنا في الشريعة فهناك فجوة في الشريعة من زاويتين أو من قسمين، الزاوية الأولى الفجوة بين أصل الفكرة وفهم الناس لها، ضربنا مثال على ذلك التوكل، الكبير في طرفين مُتناقضين، فعل إيجابي وفعل سلبي.

وهناك الزاوية الثانية في الشريعة وهي الفجوة بين الفكرة نفسها وفهمنا لها، ثم تطبيقها على أرض الواقع، وقد بيّنا من خلال قصة بقرة بني إسرائيل وقصة ذبح إسماعيل عليه السلام، أنّ أهم سبب من أسباب هذه الفجوة هو ضعف الإيمان، أو ضعف المعرفة بالأمر، أو نقص في معرفة الله تعالى، يعني أسماء مختلفة لمُسَمَّى واحد وهو ضعف إرادة في التطبيق، ناتج عن عدم وجود أرضية كافية من المعرفة بالله تعالى التي تؤهل الإنسان أن يُعظم الله في قلبه، فلا يريد أن يستحل شيئاً من محارمه لأنّه يعرف من الأمر جلّ جلاله.

ثم ذكرنا أسباباً فرعيةً لهذه الفجوة، وهي وجود مثالية حالمة أحياناً وهذا غير موجود في ديننا، ولكن بعض الدعاة من حيث يشعرون أو لا يشعرون يجعلون هذه المثالية الحالمة التي تُنتج حتماً فجوة حقيقة غير مُصطنعة، وربما غير مسؤول عنها كثير من الناس وإنما مسؤول عنها من وضع هذه المثالية الحالمة، وتحدثنا عن السبب الآخر وهو أنّ الثخبة التي تحمل الفكرة أحياناً وينادي بها في ديننا العلماء والوعاظ والدعاة إلى الله تعالى، أنهم يضعفون عن حملها بالشكل الصحيح، فينتج فجوة عند الناس طبيعية لأنهم ينظرون إلى القدوات، وهي غير قادرة على حمل الفكرة، فهم من باب أولى أن لا يحملونها بالطريقة الصحيحة، والسبب الأخير هو وجود المُنتفعين وأصحاب المصالح الذي يُتاجرون في دين الله، فيستغلون الفكرة استغلالاً سيئاً فيدفعون الناس إلى الفتنة في دين الله تعالى.

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله والصلاة والسلام سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه ومن والاه، اللهم اجعل جمعنا هذا جمعاً مباركاً مرحوماً، واجعل التفريق من بعده معصوماً، ولا تجعل فينا ولا ميتاً ولا مَعْتاً شقيماً ولا محروماً، اللهم ربنا ارحم شهداءنا، ارحم من قضى في هذا الزلزال ارحم من قضى في هذه الأحداث الأليمة، اللهم صبر أحببهم، اللهم يَسِّنْ كتابهم، اللهم يسِّر حسابهم، اللهم اجعل الملائكة الكرام زوارهم، اللهم لِقهم الأمن والبشرى والكرامة واللطف، اللهم مُدِّ لهم في قبورهم مدَّ أبصارهم وجافِ الأرض عن جنوبهم، اللهم اغسلهم بالماء والثلج والبرد، ونقهم من الخطايا كما يُنقى الثوب الأبيض من الدنس، اللهم أنزل على أحببهم وأصدقائهم وأقربائهم من الصبر أضعاف ما نزل بهم من البلاء، فإنك إلهي تنزل الصبر على قدر البلاء، تعاليت وتباركت يا رب العزة، يا رب الجلالة والإكرام، اللهم اجعل بلادنا أمنةً سخيةً رحيمةً مطمئنة، اللهم فرج عن إخواننا المستضعفين في مشارق الأرض ومغاربها، اللهم زِدنا إلى دينك رِداً جميلاً وزِدنا إلى ديارنا وأهلنا رِداً جميلاً، واجعلنا عندك من المقبولين تقبّل مِنّا إنك أنت السميع العليم، وثبّ علينا يا مولانا إنك أنت التواب الرحيم، واهدنا ووقفنا إلى الحقِّ ووقفنا إلى الطريق المستقيم، اللهم اغفر لإخواننا الذين أسسوا هذا البيت المُبارك، اللهم اغفر لهم وضاعف مَثوبتهم وأعظم أجرهم، و اجعل هذا المنبر منبر حقٍّ وخيرٍ وفضل، دائماً نسعد به ونتعرّف به إلى ديننا وإلى شرعة نبينا صلى الله عليه وسلم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.